وزارة التعليم والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ
المرحلة الثانية

التاريخ الدولة العربية الاسلامية

في العصر الاموي

الفصل الاول

المحاضرة الخامسة

البيت المرواني

اولاً: عبدالملك بن مروان (٦٥- ٨٦هـ)

ثانياً: الوليد بن عبدالملك (٨٦ - ٩٦هـ)

ثالثاً: سليمان بن عبدالملك (٩٦ - ٩٨هـ)

رابعاً : عمر بن عبدالعزيز (٩٩هـ - ١٠١هـ)

استاذ المادة :

أ.م.د. زياد علي عبدالله

الاسبوع الخامس

البيت المرواني

اولاً: عبدالملك بن مروان (٦٥- ٨٦هـ):

هو «عبدالملك بن مروان بن الحكم»، ولد في «المدينة» سنة (٢٦هـ) في خلافة عثمان بن عفان»، ونشأ بها نشأة علمية، وتتلمذ لكبار الصحابة، من أمثال «عبدالله بن عمر»، و «أبي سعيد الخدرى»، و «أبي هريرة» وبرع في الفقه حتى عُدَّ من فقهاء «المدينة»، وقد تواترت الأخبار عن فقهه وغزارة علمه ورجاحة عقله، قال عنه «الذهبي»: «ذكرته لغزارة علمه»، وقال «الشعبي»: «ما جالستُ أحدًا إلا رأيت لي الفضل عليه إلا عبدالملك بن مروان»، واحتج الإمام مالك بن أنس بقضائه. ومكث «عبدالملك» معظم حياته قبل أن يلي الخلافة في المدينة المنورة»، لم يغادرها إلا لحج أو لجهاد، فقد اشترك في فتح «شمال إفريقيا» في عهد معاوية بن أبي سفيان». وكان من عقلاء الرجال ودهاتهم، ومن أكثرهم حزماً وشجاعة وإقداماً ، وقد أثبت عبد الملك كفاءة عالية في إدارة الدولة وسياستها وكان غير هياب يمضي إلى هدفه بعزيمة ثابتة ولا يعرف اليأس إلى نفسه سبيلا، ولا يتردد عن قيادة المعارك بنفسه، ولقد استطاع بعد جهود جبارة أن يعيد الوحدة ويجمع شمل الأمة الإسلامية وأن يصفي خصومه الواحد بعد الآخر ، بالصبر والجلد والمثابرة، وعمل على توطيد دعائم دولته ونجح في ذلك نجاحاً فائقاً، ولم تكن تأخذه هوادة أو رحمة بكل من يحاول أن يعكر صفو الدولة أو يخرج عليها وقد استحق عبد الملك عن جدارة لقب المؤسس الثاني للدولة الأموية، بعد معاوية مؤسسها الأول وقد عمل على توطين الأمن في البلاد.

توليته الخلافة :

تولى «عبدالملك» الخلافة بعد وفاة أبيه في رمضان سنة (٦٥هـ) ، ووجد الدولة الإسلامية قد تنازعتها خمس دول دولته هو، وتتكون من «مصر» والشام وعاصمتها «دمشق»، ودولة «عبدالله بن الزبير وتتكون من «الحجاز » وبعض «العراق» و «بلاد» «فارس»، وعاصمتها . «مكة المكرمة»، ودولة أقامها «المختار بن أبي عبيد الثقفي» في جزء من «العراق»، وعاصمتها «الكوفة»، ودولة للخوارج الأزارقة في إقليم «الأهواز »، جنوبي شرقي «العراق»،

ودولة للخوارج النجدات في إقليم «اليمامة» في شرقي الجزيرة العربية وجنوبي شرقيها . رأى «عبدالملك» أن هذه الدول التي برزت خلال الفوضى التي عمت بعد وفاة «يزيد بن معاوية» لا رابط يجمع بينها سوى العداء لبني أمية، فتركهم في البداية يأكل بعضهم بعضًا، فاشتبك «ابن الزبير» مع «المختار الثقفي»، وقضى عليه تماما حين أرسل له جيشًا بقيادة أخيه مصعب بن الزبير، فتمكن من هزيمته سنة (٦٧هـ) ، وبذلك تخلص «عبدالملك» من واحد من أقوى خصومه دون أن يبذل أي جهد . وقد أخذ عبد الملك على عاتقه القضاء على «ابن الزبير» وغيره من خصوم الدولة الأموية، فهزم جيوش «ابن الزبير» بقيادة أخيه «مصعب» في «العراق» سنة (٧٢هـ)، ثم أرسل «الحجاج ابن يوسف الثقفي» على رأس جيش للقضاء على «ابن الزبير» في «مكة»، فنجح في ذلك، وقتل ابن الزبير» في جمادى الأولى سنة (٧٣هـ) . وبمقتله انهارت دولته التي استمرت نحو تسع سنوات (٦٤ - ٧٣هـ) وكانت في مبدأ أمرها تسيطر على معظم الدولة الإسلامية. كما نجح عبد الملك في القضاء على دولتي الخوارج، وبذلك تخلّص من ،خصومه وقضى على الانقسامات التي أضعفت الدولة الإسلامية، وأعاد إليها وحدتها ، ولذا عدّه المؤرخون المؤسس الثاني للدولة الأموية وعدوا سنة (٧٣هـ) عام الجماعة الثاني. أظهر «عبد الملك» براعة فائقة في إدارة الدولة وتنظيم أجهزتها، مثلما أظهر براعة في إعادة الوحدة إلى الدولة الإسلامية، فاعتمد على أكثر الرجال في عصره مهارة ومقدرة، وأعظمهم كفاءة وخبرة ، وسياسة وإدارة، ومن أبرزهم «الحجاج بن يوسف الثقفى» الذي عهد إليه «عبدالملك» بإدارة القسم الشرقي للدولة، الذي يتكون من «العراق»، وكل أقاليم الدولة الفارسية القديمة، وكان «الحجاج» عند حسن الظن به، فبذل أقصى طاقته في تثبيت أركان الدولة، والقضاء على كل مناوئيها، وكذلك إخوة «عبدالملك» الذين كانوا من أبرز ركائز دولته، ومنهم: «بشر بن مروان»، «ومحمد بن مروان» و «عبدالعزيز بن مروان الذى ولي «مصر» نحو عشرين سنة (٦٥ - ٨٥هـ). وتفقد «عبدالملك» أحوال دولته بنفسه وتابع أحوال عُمَّاله وولاته، وراقب سلوكهم، ولم يسمح لأحد منهم بأن يداهنه أو ينافقه. وأنجز أعمالا إدارية ضخمة دفعت بالدولة الإسلامية أشواطا على طريق التقدم والحضارة، تمثلت في تعريب دواوين الخراج في الدولة الإسلامية كلها، وتعريب النقود، وتنظيم ديوان البريد، وجعله جهازًا رقابيا ، يراقب العمال والولاة ويرفع إليه تقارير عن سير العمل في الولايات. وتُوفَّي «عبدالملك بن مروان» في شوال سنة (٨٦هـ) بعد أن كرَّس كل وقته وجهده لتوطيد أركان الدولة، والسهر على رعاية مصالح المسلمين.

ثانياً: الوليد بن عبدالملك (٨٦ - ٩٦هـ):

هو الوليد بن عبدالملك بن مروان، ولد سنة (٥٠هـ)، وهو أكبر أبناء «عبدالملك»، الذي حرص على تربيتهم تربية إسلامية، فعهد بهم إلى كبار العلماء والصلحاء لتعليمهم وتربيتهم، وخص ابنه «الوليد» بعناية خاصة، لأنه ولي عهده، وخليفته في حكم الدولة الإسلامية، فشب «الوليد» على الصلاح والتقوى، حافظاً للقرآن، دائم التلاوة له تولَّى «الوليد» الخلافة بعد وفاة أبيه، الذي ترك له دولة واسعة الثراء، غنية بالموارد، قوية الساعد، مرهوبة الجانب، موحدة الأجزاء ، متماسكة البناء، موطّدة الأركان، فاستثمر ذلك على أحسن وجه في الفتوحات الإسلامية، فاستكمل المسلمون في عهده فتح الشمال الإفريقي كله، وفتحوا بلاد الأندلس»، وأتمُّوا في المشرق فتح بلاد «ما وراء النهر » - آسيا الوسطى - وفتح إقليم «السند» في «شبه القارة الهندية». وبرز في عهده عدد من القادة الكبار، منهم من أشرف على فتح تلك البلاد، مثل: «الحجاج بن يوسف الثقفي»، ومنهم من قاد تلك الفتوحات بنفسه، مثل: قتيبة بن مسلم الباهلي» فاتح بلاد «ما وراء النهر »، و «محمد بن القاسم الثقفي» فاتح «السند»، و «موسى بن نصير» و «طارق بن زياد» فاتحي «الأندلس». كما نهض مسلمة بن عبدالملك» أخو «الوليد» بمنازلة الدولة البيزنطية، ومواصلة الضغط عليها، والاستعداد لمحاصرة عاصمتها «القسطنطينية». وشهد عصره فتوحات كبيرة منها بلاد الاندلس أما عن النهضة العمرانية في عهد الوليد فقد شهد عصر الوليد بن عبد الملك نهضة عمرانية كبرى، فأعاد بناء المسجد النبوي وأدخل عليه توسعات كبيرة، وعهد إلى ابن عمه والي «المدينة» «عمر بن عبدالعزيز» بمتابعة ذلك، كما بنى «المسجد الأقصى» في مدينة «القدس»، وبنى «مسجد دمشق»، وأنفق عليه كثيرًا ليكون آية من آيات العمارة، وعُني عناية فائقة بتعبيد الطرق التي تربط بين أجزاء الدولة، التي امتدت أطرافها من «الصين» شرقًا إلى «الأندلس» غربا، ومن بحر قزوين شمالا إلى المحيط الهندى جنوبًا، وبخاصة الطرق التي تؤدي إلى «مكة المكرمة»، لتسهل سفر حجاج بيت الله الحرام. وفي عهده سبقت الدولة الإسلامية كل دول العالم في تقديم الخدمات للناس مجانًا، وبخاصة الخدمات الطبية لأصحاب الأمراض المزمنة، يقول «الطبرى»: «كان الوليد عند أهل الشام أفضل خلائفهم، بنى المساجد، مسجد دمشق، ومسجد المدينة، ووضع المنابر ، وأعطى الناس، وأعطى المجذومين، وقال لا تسألوا الناس، وأعطى كل مُقعد خادمًا، وكل ضرير قائدًا، وفتح في عهده فتوح عظام». وتُوفَّى الوليد بن عبد الملك في جمادى الآخرة سنة (٩٦هـ).

ثالثاً: سليمان بن عبدالملك (٩٦ - ٩٨هـ):

هو «سليمان بن عبدالملك بن مروان وُلد في «المدينة»، ونشا في الشام، وبويع له بالخلافة في اليوم الذى تُوفَّى فيه أخوه الوليد بن عبدالملك». كان «سليمان» من أفضل أولاد «عبدالملك»، ومن أكبر أعوان أخيه «الوليد» أثناء خلافته، وولى له «فلسطين» وصفه «الذهبي» بقوله: «من أمثل الخلفاء - يعني من أفضلهم – نشر علم الجهاد، وكان دينا فصيحا مفوَّها عادلا محبا للغزو، استعان في إدارة دولته وتصريف شئونها بعظماء الرجال وصالحيهم من أمثال ابن عمه «عمر بن عبدالعزيز»، و «رجاء بن حيوة». حافظ «سليمان» على هيبة الدولة ومكانتها ، فواصل الجهاد والفتوحات، واهتم الخليفة «سليمان بن عبدالملك» بفتح القسطنطينية » اهتمامًا كبيرًا، وجهز لذلك جيشًا ضخمًا، بلغ زهاء مائة ألف جندي، ومزودًا بنحو ألف وثمانمائة سفينة حربية، وأسند قيادته إلى أخيه «مسلمة بن عبدالملك»، وأشرف بنفسه على هذه الحملة، حيث اتخذ من مدينة «مرج دابق» شمالي الشام مركز قيادة له؛ ليكون على مقربة من ميدان المعارك الحربية، ويتابع منه أخبار الجيش وسير عملياته، وقد حاصر الجيش المدينة مدة عام كامل (٩٨ ٩٩هـ) دون جدوى، فقد استعصت المدينة على السقوط على الرغم من الاستعدادات الكبيرة للجيش الإسلامى وتضحياته الجسيمة ولم تكن هذه الحملة والحملتان اللتان تمتا في عهد معاوية برغم عجزهم عن فتح القسطنطينية» بغير فائدة، فقد شغلت الدولة البيزنطية بالدفاع عن نفسها وعن عاصمتها، وجعلت الاستيلاء عليها أملا إسلاميا لم يخبُ نوره أو تنطفئ جذوته عبر القرون، حتى حققه السلطان العثماني محمد الفاتح» سنة (٨٥٧هـ = ١٤٥٣م)، وشيد مسجدًا بالقرب من قبر أبي أيوب الأنصارى» أول شهيد إسلامي هناك.

تُوفَّى سليمان بن عبد الملك في مرج دابق فى شهر صفر سنة (٩٩هـ)، ولذا قال بعض العلماء: إنه مات شهيدًا ، بعد أن توَّج أعماله بعمل يدل على صلاحه وحرصه على مصالح المسلمين، وهو تولية ابن عمه «عمر بن عبد العزيز» الخلافة من بعده.

رابعاً : عمر بن عبدالعزيز (٩٩هـ - ١٠١هـ) :

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، وأمه «أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب». وُلد فى «المدينة المنورة» سنة (٢٦هـ) على الأرجح، ونشأ بها بناءً على رغبة أبيه، الذي تولى إمارة «مصر» بعد ولادة «عمر» بثلاث سنوات سنة (٦٥هـ) ، فنشأ بين أخواله من أسرة عمر بن الخطاب»، ونهل من علم علمائها من بقية الصحابة وكبار التابعين حتى صار من كبار الفقهاء علمًا وعملا. ظل «عمر» «المدينة» حتى سنة (٨٥هـ)، وهي التي تُوفي فيها أبوه،

فاستدعاه عمه «عبدالملك بن مروان» إلى «دمشق»، وخلطه بأبنائه ، وزوجه ابنته «فاطمة»، ثم عينه واليا على منطقة «خناصرة» شمالي شرقي الشام، ثم عيَّنه ابن عمه الوليد بن عبدالملك» واليا على «المدينة المنورة»، فكان ذلك مصدر سعادة لعمر ولأهل «المدينة» جميعًا ، تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة، على غير رأي منه، فقد ولاه سليمان بن عبد الملك الخلافة، ويؤكد هذا خطبة الخليفة عمر بن عبد العزيز) : (اني) لست بخيركم، ولكني اثقلكم حملاً)، وقد سار بهذه الطريقة على هدي الخلفاء الراشدين ، لذا عدوه الخليفة الراشد الخامس ، وقد طلب الخليفة عمر بن عبد العزيز عندما كان والياً على الحجاز، أن تدون له سيرة جده عمر بن الخطاب ، كما كان ملازماً لانس بن مالك صاحب الحديث، وقد درس علوم الدين وبرع فيها، والهمه الله سبحانه وتعالى حل الكثير من المسائل، حتى لقد قيل: ان العلماء معه تلاميذ، وهو أول من سعى لجمع الحديث النبوي الشريف وحفظه وارسل الى الزهري غير مرة، لتأكد حفظه .

تولى الخلافة، فانقلب رأسا على عقب، فبعد ان نشأ مترفا منعماً يأكل طيب الطعام ويلبس ألين الملابس وأنعمها ملمساً، ترك ذلك كله وأكل كما يأكل أفقر الناس، ولبس الملابس الخشنة، وبعد ان كان شاباً ممتليء الجسم اصبح نحيفاً شاحب الوجه، فأمر بترك الحرس ومراكب الخلافة، ورد كل مايملك الى بيت مال ،المسلمين وطلب من زوجته فاطمة بنت عبد الملك ان ترد عقداً من اللؤلؤ الى بيت المال ،فردته وقالت في احدى المرات مارأينا راحة منذ أن ولي عمر الخلافة ياليت بيننا وبينها بعد المشرقين ، كما رد اموال بني امية من الاقطاعات التي اعطيت لهم الى اصحابها وسماها مظالم وجلس للمظالم، وكتب الى القضاة برفع كل قضية لا يقدرون على حلها اليه ليبت فيها او يرى فيها رأيه، ولم يعط أحداً راتباً من الدولة، بل كل من يجاهد في الجيش له راتب، والذي لا يجاهد ليس له راتب، وبهذا الاجراء فقد حرم جميع بني امية من اعطياتهم التي كانوا يأخذونها من الدولة دون جهد يذكر . ونعم الناس في فترة ولايته عليها (٨٧) - ٩٣ هـ) بالعدل والأمن، وأشرك معه أهل العلم والفضل منهم فى إدارة أمور الولاية أخذ عمر بن عبدالعزيز» منذ أن ولى الخلافة في بذل كل ما يملك من طاقة، وما يتمتع به من خبرة في إصلاح أمور الدولة، واستقرار الأمن، ونشر الرخاء والعدل، وتحقيق الكفاية والوفرة في كل أنحائها، والحرص على مال المسلمين، وإنفاقه في وجوهه المشروعة، وحسن التصرف في الأمور، والدقة في اختيار الولاة والقضاة وسائر كبار رجال الدولة وتحقيق التوازن بين طبقات المجتمع، ومجادلة الخارجين على الدولة بالحسنى؛ لإقناعهم بالعودة إلى حظيرة الجماعة كما فعل مع الخوارج حين عاودوا نشاطهم في عهده فاستعمل معهم أسلوب الحوار ، فاستجابوا له لما أقنعهم بخطأ أفكارهم المتطرفة، ووعدوه بالهدوء، لكنهم هبوا من جديد بعد وفاته سنة

(١٠١هـ)، ولم تهدأ ثوراتهم التي استمرت حتى آخر أيام الدولة الأموية . وقد سرت تلك الروح في كل ناحية من نواحي الحياة في الأمة الإسلامية، فعمها الرخاء، وسادت فيها الكفاية والعدالة الاجتماعية، حتى إن عمال الصدقات كانوا يبحثون عن فقراء لإعطائهم فلا يجدون. وأما عن سياسته الخارجية، فقد رأى عمر بن عبدالعزيز» أن الدولة اتسعت كثيرًا، وأن كثيرًا من المشاكل والأخطاء نشأت من ذلك الاتساع، فرأى وقف الفتوحات والاهتمام بنشر الإسلام في البلاد التي تم فتحها، وإرسال الدعاة والعلماء لدعوة الناس بدلا من إرسال الجيوش والحملات، وقد أثمرت تلك الجهود نتائج محمودة ، فأقبل أبناء الشعوب المفتوحة على اعتناق الإسلام، يجذبهم إليه سمعة الخليفة الحسنة، وسمو أخلاقه، ونبله وعدله، الذي تجاوز حدود دولته إلى غيرها من الدول، فكان موضع إعجاب وتقدير ، وحمد وثناء من أهلها، وبخاصة الدولة البيزنطية. وقد استمرت خلافة «عمر» سنتين وبضعة أشهر ، شهدت فيها الدولة إصلاحات عظيمة في الداخل والخارج، وامتلأت الأرض نورًا وعدلا وسماحة ورحمة، وتجدد الأمل في النفوس بإمكان عودة حكم الراشدين، واقعا ملموسًا وحقيقة لا خيالا، وأن يقوم المعوج، وينصلح الفاسد ، ويُرد المنحرف إلى جادة الصواب، إذا استشعر الحاكم مسئوليته الأمة أمام الله، واستعان بأهل الصلاح من ذوي الكفاية والقدرة، ومن ثم فليس بغريب أن يطلق على عمر » خامس الخلفاء الراشدين»، وأن يكون موضع تقدير أشد الفرق عداءً لبني أمية. وتُوفِّي «عمر بن عبدالعزيز» في أواخر شهر رجب سنة (١٠١هـ). وأمر بمنع الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً ، واعاد فدك لاولاد فاطمة الزهراء (رضي الله عنها)، واجرى لهم الارزاق، ومنع محاربة الخوارج حتى يرفعوا السلاح بوجه الدولة، فمال إليه وامر بتلاوة الآية الكريمة والتي لا يزال علماؤنا الافاضل يذكرونها قبل اقامة صلاة الجمعة: ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) . وهو هنا يعبر عن الحركة الفكرية في الدولة الاسلامية، على وفق القرآن والسنة، فهو لا يحارب خصمه لمجرد طرح آرائه او الدعوة لها، بل يناقشه الحجة بالحجة والدليل بالدليل، كما اوقف الفتوحات الاسلامية، وسحب الجيش الاموي الذي كان يحاصر القسطنطينية دون جدوى بقيادة مسلمة بن عبد الملك، والذي كان يرابط حول اسوار القسطنطينية . ودعا ملوك الدول المجاورة وحكامها للدخول في الاسلام، على ان يبقوا في ممالكهم وتيجانهم وخدمهم وحشمهم على ان يسمحوا للدعاة المسلمين بالطواف في بلادهم الدعوة الناس الى الاسلام، ويكون لهؤلاء الملوك ما للامراء المسلمين من حقوق وواجبات وأسقط الجزية عمن اسلم، وفرض لمن يقاتل دفاعاً عن الدولة، وساوى بين العرب والموالي في العطاء وفي كل شيء .

أما موقفه من أهل الذمة فحدث عنه ولا حرج، وأنقل هنا ماكتبه بعض المستشرقين عنه: " والحقيقة ان اهل الذمة تمتعوا بالكثير من عدل عمر ورحمته، فقد أمر عماله بألا يهدموا كنيسة او بيعة او بيت نار صولح اهل الذمة عليه، فهو قد طبق العدل بالحفاظ على ممتلكات اهل الذمة، في الوقت الذي راعى فيه مصالح الاسلام، بان منع اهل الذمة من بناء البيع والكنائس تطبيقاً للعهود السابقة بينهم وبين المسلمين، في الوقت الذي لم يعمل أي خليفة على تطبيقها قبلاً ، واعاد" عمر بن عبد العزيز أراضي كثيرة الى اصحابها من اهل الذمة، بعد أن ضمت الى املاك الامويين، وأعاد الكثير من الكنائس والديارات، فعده الرهبان المسيحيون صديقاً لهم، وحاول عمر بن عبد العزيز معالجة مستوى معيشة الفلاحين من المسلمين وغيرهم، فكتب الى عامله على الكوفة : بان يعطي أهل الذمة مابقي من الخراج ليسدوا به ديونهم ويساعدوهم ان ارادوا الزواج وختم رسالته بقوله : قوّ اهل الذمة فاننا لانريدهم لسنة أو سنتين"

كما كتب عمر الى عامله على البصرة عدي بن أرطاة يوصيه بالانفاق من بيت مال المسلمين على من عجز منهم عن العمل، وأصابته فاقة فقال : " أما بعد... وانظر من قبلك من اهل الذمة قد كبرت سنه وضعفت قوته وولت عنه المكاسب، فأجر عليه من بين مال المسلمين ما يصلحه"

وبلغ من ازدياد التسامح ان بعض الخلفاء الأمويين بعد عمر بن عبد العزيز، اعطوا امتيازات لرؤساء اهل الذمة في جباية الضرائب من ابناء ملتهم، فضلاً عن ان بعض الامويين تركوا وظائف الدولة بيد أهل الذمة، وقد قال فلهاوزن : "ان الوليد الثاني جعل الجماعات الدينية من اهل الذمة تقوم بجباية الخراج ، فرأس الجالوت يجمع الضريبة من اليهود والمطران من النصارى والمرزبان من المجوس"